

هل نال التصوف من فيتجنشتاين ؟ المعقول و الإمامعقول في الرسالة

Maher Abdelkader Mohamed Ali
(Université d'Alexandrie)

Résumé :

Le mysticisme est un des thèmes importants du *Tractatus* de Wittgenstein, pourtant les chercheurs, surtout ceux qui ont étudié cette œuvre, ne sont toujours pas d'accord sur le sujet. Pour ce qui est de la première période, celle de l'atomisme logique, les chercheurs ne sont pas d'accord sur la tendance mystique de Wittgenstein. Ceci est probablement dû au fait que ceux qui ont étudié cette période sont de tendance empirique ; ils donnent la primauté à l'expérience au-dessus de la métaphysique et au mysticisme qui en fait partie. On sait que Wittgenstein a essayé, dans son *Tractatus*, de présenter une sorte de balance entre la pensée et la réalité ; ce qui l'a mené à dire que le langage est une représentation de la réalité. Mais la question qui s'impose est la suivante : comment Wittgenstein a-t-il commencé comme un empiriste et terminé, en notre opinion, en un mystique ? Cette question peut être reformulée ainsi : pourquoi n'admettons-nous pas que Wittgenstein était, depuis les premières étapes de sa vie et jusqu'à sa rédaction du *Tractatus*, un mystique ? Est-ce qu'il a été influencé par le mysticisme ? Est-ce qu'il y a eu une série d'incidents qui lui ont ouvert le chemin du mysticisme ? Pourquoi s'est-il abstenu de publier ses opinions après l'étape de l'atomisme ? Quelles seraient les raisons de cette tendance de sa part ? Est-ce Wittgenstein a vécu la deuxième partie de sa vie en mystique sans que personne ne le sache ? Toutes ces questions ont besoin de réponses, que l'on pourrait trouver dans les détails de sa vie privée avant le *Tractatus*, ou peut-être dans l'œuvre elle-même.

المخلص

رغم أن التصوف من الموضوعات المهمة التي جاءت في رسالة فيتجنشتاين ، إلا أن هذه القضية ما زالت موضع خلاف بين الباحثين والدارسين للرسالة بصفة خاصة ، وفكر فيتجنشتاين ، بصفة عامة ، في المرحلة الأولى وهي المرحلة الذرية : ليس هناك اجماع بين الباحثين على توجه فيتجنشتاين الصوفي ، وربما كان مرجع ذلك أن الذين تناولوا فيتجنشتاين بالدرس والتحليل في المرحلة الأولى هم من أصحاب النزعات الإمبريقية . إنهم يعلون من شأن الخبرة Experience ، ولا يعترفون بالميتافيزيقا أو التصوف ، لأنهم ضد الميتافيزيقا أصلاً ، ولا شك أن التصوف يندرج تحت الميتافيزيقا . المعروف أن فيتجنشتاين حاول في رسالته أن يقيم نوعاً من التوازن بين الفكر والواقع ، مما حدا به أن يجعل اللغة تصويراً للواقع . لكن السؤال: كيف بدأ فيتجنشتاين امبريقيا وانتهى ، في رأينا، صوفياً ؟ إن هذا السؤال يحتاج إلى إعادة صياغة : لماذا لا نعتزف بأن فيتجنشتاين بدأ في الأصل صوفياً، في أولى مراحل حياته ، وحتى تدوين الرسالة؟ هل نال منه التصوف ؟ وهل هناك سلسلة من الأحداث فتحت أمامه الطريق إلى التصوف ؟ ولماذا عزف فيتجنشتاين عن نشر آرائه بعد المرحلة الذرية ؟ يا ترى ما الأسباب التي تقف وراء هذا التوجه من جانب فيتجنشتاين ؟ هل عاش فيتجنشتاين الشرط الثاني من حياته متصوفاً، ولا أحد يدري بهذا؟ كل هذه تساؤلات تحتاج إلى اجابات ، ربما تبوح بها حياته الشخصية قبل الرسالة ، أو تفصح عنها الرسالة بذاتها.

Abstract :

Although the issue of mysticism is one of the important tendencies in Wittgenstein's *Tractatus*, however, it is still a matter of dispute among researchers and scholars who studied carefully the *Tractatus*, in particular , and Wittgenstein's thought in general, in his early development ,i.e, the atomic one. There is no consensus among researchers on the mystical attitude of Wittgenstein, perhaps because those who studied and analyzed the *Tractatus* in the first stage belong to empirical tendencies: they only take experience in grantee and neglect the metaphysical, or mystical. They are against metaphysics, and consequently mysticism is distributed in metaphysics. It is well known that Wittgenstein in his *Tractatus* tried to assess some sort of balance between thought and reality , prompting him to make language as a picture of reality. But the question: How did Wittgenstein started as an empirical philosopher and ended, in our opinion, with mysticism? This question require to be reformulated: why we don't confess that Wittgenstein followed mysticism in his early life till the period of the "Tractatus"? Is there a chain of events opened the way to the front of mysticism? Why did Wittgenstein refuse to publish his views after the atomic period? I wonder what reasons are hidden behind this trend of Wittgenstein? Did Wittgenstein lived the second half of his life in complete mysticism, and no one knows this? All these questions need to be answered, perhaps the life of Wittgenstein can reveal his psychological before the "Tractatus", or disclose the *Tractatus* itself.

مقدمة

رغم أن التصوف من الموضوعات المهمة التي جاءت في رسالة فتجنشتين ، إلا أن هذه القضية ما زالت موضع خلاف بين الباحثين والدارسين للرسالة بصفة خاصة ، وفكر فتجنشتين ، بصفة عامة ، في المرحلة الأولى وهي المرحلة الذرية : ليس هناك اجماع بين الباحثين على توجه فتجنشتين الصوفي ، وربما كان مرجع ذلك أن الذين تناولوا فتجنشتين بالدرس والتحليل في المرحلة الأولى هم من أصحاب النزعات الإمبريقية . إنهم يعلون من شأن الخبرة Experience ، ولا يعترفون بالميتافيزيقا أو التصوف ، لأنهم ضد الميتافيزيقا أصلا ، ولا شك أن التصوف يندرج تحت الميتافيزيقا . والمعروف أن فتجنشتين حاول في رسالته أن يقيم نوعاً من التوازن بين الفكر والواقع ، مما حدا به أن يجعل اللغة تصويرياً للواقع . لكن السؤال: كيف بدأ فتجنشتين امبريقيا وانتهى ، في رأينا، صوفياً ؟ إن هذا السؤال يحتاج إلى إعادة صياغة : لماذا لا نعترف بأن فتجنشتين بدأ في الأصل صوفياً، في أولى مراحل حياته ، وحتى تدوين الرسالة؟ هل نال منه التصوف ؟ وهل هناك سلسلة من الأحداث فتحت أمامه الطريق إلى التصوف ؟ ولماذا عزف فتجنشتين عن نشر آرائه بعد المرحلة الذرية ؟ يا ترى ما الأسباب التي تقف وراء هذا التوجه من جانب فتجنشتين ؟ هل عاش فتجنشتين الشطر الثاني من حياته متصوفاً ، ولا أحد يدري بهذا؟ كل هذه تساؤلات تحتاج إلى اجابات ، ربما تبوح بها حياته الشخصية قبل الرسالة ، أو تفصح عنها الرسالة بذاتها.

تكوين مبكر

كثيرا ما تلعب الحياة البيئية والأسرية دوراً مهماً في خلق الشخصية والتكوين الفكري ، خاصة وأن الأسرة ، وهي المنبت الأول للإنسان ، تلقن الطفل الصغير الأسس والمبادئ التي غالباً ما تؤثر في حياته وتشكلها. والطفل الصغير غالباً ما ينخرط في تقاليد وتعاليم أسرته، وتأتي أفعاله متسقة مع ما ترسيه الأسرة من أنماط سلوكية . وعادة ما تتناول سير المفكرين والعلماء بمعزل عن هذا الجانب الذي قد يكون له أثره البالغ في مسيرة حياة الفيلسوف أو العالم .

ونظراً لأن فتجنشتين قد نشر الرسالة في فترة أوج ازدهار الفلسفة التجريبية ، وانطلاق آراء أنصار التحليل ، فقد اتجه الفلاسفة إلى دراسة ما جاء في فلسفة الرسالة من قضايا ، ولم يحظى جانب النشأة والتكوين باهتمامهم إلا بقدر ضئيل ، ومن ثم ترتب على هذا الاهتمام استبعاد مسألة التصوف عند فتجنشتين لأن القول بما هو "صوفي" أو "مجاوز" أو "ميتافيزيقي" لا يتسق مع فكر الرسالة في تقدير هؤلاء ، ولكن خرج من بين تلامذة فتجنشتين وأصدقائه ، من باح بالسر، وكشف بعض أسرار حياته الشخصية ، ومن أهم هؤلاء "فون رايت" Von Wright و "نورمان مالكم" Norman Malcom . وفان بيورسن Van Peursen .

إن فون رايت ونورمان ملكم وقد تتبعا سيرة فتجنشتين وعالمه الخاص ، قد ذكرا لنا الكثير عن نواحي حياة هذا الفيلسوف ، الذي يمكن أن نعهده في عداد العباقرة . فبينما يقرر فون رايت أنه لم يشعر بالسعادة في السنوات الممتدة من 1906 وحتى 1912 ، وأنه لم يشعر بالاستقرار النفسي طوال هذه الفترة ، نجد برتراند رسل يقدم لنا نفس التقرير بصورة أخرى حين التقاه لأول مرة في تلك الفترة ، بعد أن أرشده فريجه عليه. يقول رسل أن فتجنشتين حين قصده سأله أن يخبره ما إذا كان غيباً أم لا . ولم يعرف رسل للوهلة الأولى ماذا يقصد بذلك ، فسأله : أنا لا أعرف ولكن لماذا تسألني ؟ فقال له

فتجنشتين : إننى إذا كنت غيبا سوف أصبح ملاحا جوبا ، وإن لم أكن كذلك فسوف أصبح فيلسوفا. فصمت رسل قليلا ، ثم طلب إليه أن يتناول أى موضوع فلسفى ويكتب فيه ، ثم يعود إليه بعد أن تنتهى العطلة. ولما عاد إليه ، وقدم له ما كتب ، وما أن قرأ رسل عبارة واحدة مما كتب ، حتى صاح قائلا: لا . يجب عليك ألا تصير ملاحا جوبا.

تحولت إذن عبارة فتجنشتين الأولى (أن يخبره ما إذا كان غيبا أم لا) من عبارة استفهامية للسؤال عن الحال إلى عبارة تقريرية (أنت عبقرى) . وهذا ما قصدته من تصنيف فتجنشتين فى عداد العباقرة . والعبقرى عادة ما تختلف حياته وسلوكه عن الآخرين ، فهو لا يسعى لتحقيق مصلحة شخصية ، وإنما يترفع عن ذلك دائما ، وغالبا ما يختلط ذلك عنده بالشقاء ، ومحاولة البعد عن الآخرين ، والحساسية المفرطة المشوبة بالعصبية الشديدة .

لقد كانت حياة فتجنشتين منذ البداية حافلة بتطورات كثيرة شكلت بنيانه العقلى ، وربما الفلسفى، أيضا . فمن الملاحظ أن فتجنشتين فى شرح الشباب أكب على القراءة بنهم ، فكان أن قرأ كتاب شوبنهاور العالم كإرادة ، ومن الواضح أنه تأثر به فى فكرته عن الأنا وحدية Solipsism ، كما قرأ الاعترافات للقديس أوغسطين الذى يذكر بيورسن عنه " أنه توجد تشابهات كبيرة بين فتجنشتين وأوغسطين"⁽¹⁾ ، كما قرأ كيركجارد الذى قال عنه فى أحد خطاباته لصديق له " إن ما حاول قوله قد قاله كيركجارد فعلا"⁽²⁾ . ولا يقل عن هذا تأثير تولستوى الذى نظر إليه نظرة إعجاب وتقدير وكان يرى " أن فلسفته أكثر صدقا وتعبيرا"⁽³⁾ والذى تأسى به فتجنشتين عندما تنازل عن ثروته التى ورثها عن عائلته⁽⁴⁾ والجدير بالذكر أن فتجنشتين كان يرفض الشهرة ويعتبرها عدوه الأول ، سواء شهرة كونه فيلسوفاً ، الأمر الذى جعله يرى أن من يقتربون منه ، ويطلبون صداقته ليسوا مخلصين ، وإنما هم فى الحقيقة يريدون أن يستفيدوا من شهرته الفلسفية ، ولذا حاول البعد عن الناس. أو سواء أكان صاحب ثروة

- (1) Van Peursen,C.A., Ludwig Wittgenstein : An Introduction to his Philosophy, Trans. by Rex Ambler , Faber and Faber , London ,1969 , p.22
- (2) Ibid ,P.22
- (3) Van Peursen, C.A., Ludwig Wittgenstein : An Introduction to his Philosophy,P.21

وأيضا :

Malcom,N., Ludwig Wittgenstein: A Memoir, Oxford University Press,London
1962,P.70

- (4) Pitcher, G., The philosophy of Wittgenstien, New Delhi, 1972, P. 13

وأيضا :

برتراند رسل: صور من الذاكرة ومقالات أخرى، ترجمة أحمد إبراهيم الشريف- الألف كتاب1963 (475)

ص 29

ومال : لم يتوانى فتجنشتين عن تقديم العون المالى لبعض الشعراء المهمين فى عصره مثل الشاعر رينر ماريا ريلك والشاعر جورج تراكل⁽¹⁾ .

لكن يفوق العوامل السابقة ما يذكره مالكوم وفون رايت⁽²⁾ وبيتشر⁽³⁾ من أن الفترة التى قضاها فى الخدمة العسكرية إعلالً لشأن بلاده أثناء الحرب، كانت فترة مؤثرة بحق فى تكوينه وبصفة خاصة عندما وقع أسيرا فى أيدى القوات الإيطالية وأودع أحد معسكرات الاعتقال فى شبه عزله . كان لهذه العزلة أثرها فى تكوينه النفسى فقد كان عليه أن يعيش فى النرويج فى كوخه ، فى عزلة تامة عن الحياة والناس فى الأعوام 1935-1936 ، والأعوام 1947 وما بعدها حتى وفاته عام 1951 . ويذكر كتاب سيرته أنهم لم يعرفوا سببا لهذه العزلة . ولكن أكانت لشعوره بالمرض ووطأته عليه ، خاصة وأن فون رايت يزودنا ببعض الجوانب المهمة فى هذا الصدد . يقول فون رايت وإذا قلنا أنه كان على وشك الوقوع فى المرض العقلى لكان هذا القول صادقا ، وفتجنشتين نفسه لازمتة هذه الفكرة فى حياته⁽⁴⁾ ، وقول فون رايت هذا يتفق مع ما يقوله فان بيورسن من أن فتجنشتين كان يقول دائما أن الفهم أمر محاط بالجنون⁽⁵⁾ ؟ ومن الناحية العملية نلمس هذا التفسير فى الفترة التى زاول فيها فتجنشتين التدريس بين الأعوام 1920-1926 ، وهى فترة فرضت عليه الاحتكاك بالناس ، وهو ما كان يكرهه ، فانتهى إلى أزمة نفسية حادة جعلته يترك التدريس فى نهاية الأمر⁽⁶⁾ .

لكن أعتقد أن الكتابات المختلفة لم تفتن إلى أن فتجنشتين كان يتمتع بقدر عالٍ من الذكاء ، وهو ما تنبه له جورج مور وذكرها فى سيرته الذاتية بقوله " كان أكثر ذكاءً منى فى الفلسفة ، ليس هذا فحسب ، بل أكثر عمقا أيضا⁽⁷⁾ . فضلا عن هذا نرى أن فتجنشتين كان يتألم داخليا ، فقد اكتشف أنه أصيب بمرض السرطان . فهل كان هذا وراء عزلته عن الناس ؟ وهل كان هذا هو السبب المباشر فى تنازله عن ثروته؟ هذه الأسئلة وغيرها ما زالت قيد البحث والدرس . وأعتقد أنه كما باح فون رايت ومالكم ببعض الأسرار عن حياة فتجنشتين وأثرها فى نزعه الصوفية سيأتى مستقبلا من يكشف النقاب عن جوانب أخرى .

لاشك إن موضوع التصوف أحد الموضوعات المهمة بالنسبة لتناول فكر فتجنشتين، ولكن شرح الرسالة⁷ اختلفوا فى تقدير هذا الجانب من فكر فتجنشتين، فأسقط بعضهم دراسة هذا الجانب من دراساتهم للرسالة تحت تأثير الوضعية المنطقية Logical Positivism ، وبعضهم الآخر لم يدرك حقيقة وظيفة اللغة التى يتحدث عنها فتجنشتين ، واللغة كما نعلم حمالة أوجه . وربما كانت أول كلمات فى هذا

(1) Von Wright,G.H., Biographical Sketch, ed . In N. Malcom Volum, P. 3

(2) Ibid,P.6

(3) Pitcher, G., The philosophy of Wittgenstien,P.5

(4) Von Wright,G.H., Biographical Sketch,P. 3

(5) Van Peursen,C.A., Ludwig Wittgenstein : An Introduction to his Philosophy,P.14

(6) Von Wright,G.H., Biographical Sketch, P. 6

(7) Moore,G.E., An Autobiography, P.33

الصدد هو ما أكده برتراند رسل الذى قدم رسالة فتجنشتاين للعالم بأسره حيث يقول فى تقديمه⁽¹⁾ وهناك شىء أكثر طرافة من هذه المشكلات ذات التفاصيل المقارنة ، ألا وهو اتجاه فتجنشتاين نحو ما هو صوفى⁽¹⁾ ، الأمر الذى يعنى ، ويبين فى الوقت ذاته ، أن رسل لمس اتجاه فتجنشتاين إلى التصوف فعلا ، على خلاف ما يعتقد دعاة الوضعية .

إن ما يجعلنا نتناول هذا الموضوع بالبحث يتمثل فى أن الرسالة تكون فى مجموعها نسقا فلسفيا متكاملًا ، رغم أن فتجنشتاين ينتمى إلى عصر لم يكن يعترف بالأنساق الفلسفية، بل ونفض يده عن فكرة الأنساق الفلسفية . إنه لا يمكننا أن نأخذ جزءاً من "الرسالة" بالنظر دون بقية الأجزاء، فمن الواضح أن آخر قضايا "الرسالة" تتكامل مع أول قضاياها تمامًا. وهنا يكون السؤال : إذا كان فرضنا الأساسى أن فتجنشتاين قد مسه شىء من التصوف ، فهل هذا جاء نتيجة طبيعية لفكرته عن العالم واللغة، كما تعبر عنها تحليلات الرسالة ذاتها؟ أم أن المسألة على خلاف ذلك ، ومن ثم يصبح القول بالتصوف لا يليق بفكر فتجنشتاين فى الرسالة ، بل ويخرج من دائرتها ؟ هذه التساؤلات وغيرها تستدعى منا بعض التأمل فيما يمكن أن تكشف عنه من إجابات وأسرار .

نشير ابتداءً إلى أن القول بأن الموقف الصوفى الأخير لفتجنشتاين، إنما يعتبر تناولاً لموضوع الرسالة- أى اللغة- من منظور عكسي يبدأ من مرحلة ما قبل التعبير، أى مرحلة التصوف التي يستعصى على اللغة التعبير عن مضامينها، لينتقل إلى مرحلة الوضوح اللغوي، أى إلى مرحلة إمكان التعبير عن الفكر باللغة . هذا الرأي لا يثبت أمام النقد العلمي الدقيق، لأننا أولاً لسنا فى مجال تجريب لغوي وضعي . فالموضوع يستعصى على التجريب حتى ننتقل من منظور إلى منظور آخر عكسي ، هذا من جهة، ومن الناحية الأخرى فإنه لم يقل أحد من علماء اللغة بأن مرحلة ما قبل اللغة كانت مرحلة صوفية عميقة تعج بالفكر وبالتأمل العميق. بل على العكس من ذلك لقد كانت المرحلة بدائية خالصة، كما يذهب إلى ذلك علماء الأنثروبولوجيا الدارسون للشعوب البدائية.

ولكي ندلل على صحة المنهج الذى اتبعناه فى تفسير مرحلة ما بعد التعبير اللغوي، أى مرحلة التصوف، فى "الرسالة"، يتعين علينا أن نستعرض بوضوح التفصيلات الدقيقة لموقف فتجنشتاين الصوفى فى الرسالة، ذلك الموقف الذى كاد أن يضيع فى غمار التيار الوضعي المنطقي كما أسلفنا. ونحن فى هذا الصدد نرى إن هذا ينقلنا إلى مواجهة جدلية بين "عالم المقام" و "عالم المقال" ، أو هو ينقلنا إلى ازدواجية (المعقول _ اللامعقول) .

يتناول فتجنشتاين تحليل اللغة والعالم من خلال المنطق . والمنطق الذى استخدمه فتجنشتاين فى تحليلاته إنما هو المنطق الرمزي بالمعنى الذى عرفه كل من فريجه ورسل. دعنا أولاً نلقى الضوء على بعض المعطيات المهمة بصدد تناولنا لفكرة التصوف فى الرسالة، على اعتبار أن التحديدات التى سوف نشير إليها تشكل ركنا مهما فى فهم موقف فتجنشتاين .

إننا نلاحظ أن فتجنشتاين ، كما يخبرنا فون رايت Von Wright أمين سيرته الذاتية، ونورمان مالكوم Norman Malcom، عاش فى أسرة نعمت بحياة هادئة ولع أفرادها ومنهم فتجنشتاين نفسه بالموسيقى التى استحوذت على ملكات الأسرة بصفة دائمة . ونعلم أن عالم الموسيقى يغزو عالم الروح

(□) رسالة منطقية فلسفية ، الترجمة العربية ، 50

ويتناغم معه ؛ بل يجعل الروح تنطلق في الآفاق وتلحق في السماء بعيداً في سموٍ وصفاءٍ بعدا عما يكدر الحياة ، ويبعد النفس عن خلوتها . ومع أن فتجنشتاين ينتمى إلى عائلة كبيرة عددًا ؛ إلا أن فرصته في الحصول على الرعاية كانت متكافئة مع أخوته السبعة الآخرين . هذا من جانب أول . فالأسرة كلها كانت تنعم بحياةٍ أسريةٍ موسيقيةٍ ، ومن ثم غلب عليها الطابع الفني الذي تسرب لإلى نفس فتجنشتين وروحه ، بفضل رعاية والدته .

ولا يخفى علينا أن التحاق فتجنشتاين ، بعد حصوله على درجته العلمية في الهندسة ، بالعمل مهندساً في مصنع للطائرات الشراعية ، جعله يفكر وينشغل بصنع المحركات النفاثة ، كما يقول فون رايت ، فاستحوذت عليه الرياضيات بصورة كبيرة ، والرياضيات كما نعلم أقرب العلوم إلى الموسيقى ، وهي لصيقة بها ، ولا ينبغي أن ننسى المقولة الفيثاغورية الشهيرة التي أسست لفكر المذهب الفيثاغوري القائل : العالم عدد ونغم . فكان التأمل والاستغراق بالنسبة لفتجنشتين همهم الأول في عمله ، ولا يتوافر هذا إلا لمن أوتى حساً مرهفاً وقويًا . لكن هذه الفترة أيضاً كانت فترة قلق بالنسبة لفتجنشتين ، شعر فيها بفقدان لذة السعادة . هذا من جانب ثانٍ .

ويبدو أن فتجنشتاين الذي شغل بالرياضيات ، لما تجده من هوى في نفسه ، اتجه في شرح الشباب إلى دراسة كتاب برتراند رسل " اصول الرياضيات " Principles of Mathematics الذي كان قد صدر عام 1903 في سبعة أجزاء ، وكان حدث الساعة بعد مؤتمر باريس عام 1900 . تنفيذاً لنصيحة فريجه له بلقاء رسل وقرائة أعماله والدراسة عليه . فكان أن نصحه رسل بعد لقاؤهما بارتياض مضممار الفلسفة . هذا من جانب ثالث .

والواضح أن اقامة فتجنشتاين ، في عزلة تامة ، في النرويج ، في كوخ بناه لنفسه ، بعيداً عن الناس ، ربما يكون عاملاً مؤثراً في تعرض فتجنشتاين لحالة تصوف اجتاحتها ، خاصة ونحن نعلم أن العزلة التي تلازم النفس ، بعض الوقت ، أو كل الوقت ، إنما تكون نتيجة لأسباب لا تحتملها النفس أحياناً : كان فتجنشتين يلجأ دوماً إلى هذا الكوخ ليعيش فيه وحيداً في عزلة تامة لا يلتقى بأحد ، ولا يزعجه أحد ، وربما كان فرانك رامزى هو الوحيد ، من بين الآخرين ، الذي اتصل به بعض الوقت .

أضف إلى كل هذا أن انخراط فتجنشتاين في سلك الخدمة العسكرية أثناء الحرب العالمية الأولى ، ووقوعه في الأسر على يد القوات الإيطالية في عام 1918 ، وعزله في أحد معسكرات الاعتقال التابعة للجيش الإيطالي في مونت كاسينو بجنوب إيطاليا لمدة اقتربت من العام كان عاملاً مؤثراً في حياته . وهذه الفترة التي خضع فيها للأسر والاعتقال منفرداً لا شك أنها أحييت في نفسه فترة العزلة التي عاشها في النرويج في بداية الحرب . ومن ثم تصبح فترة الأسر والاعتقال أثناء الحرب ، وفترة العزلة التي قضاه في كوخه في النرويج ، متكاملتان ، وهما معا انتجتا فتجنشتين جديد ، خاصة بعد أن نالت الرياضيات منه — فضلا عن الموسيقى — بصورة كبيرة ، بعد دراسته لكتاب مبادئ الرياضيات ، لرسل وهو ايتهد (1910-1913) Principia Mathematica . وهنا لابد وأن نعلم أن مبادئ الرياضيات كان قد صدر في كيمبرج التي التقى فيها برتراند رسل في عام 1913 . ومن المعروف أن رسل الذي كتب مقدمة كتاب " مبادئ الرياضيات " أشار فيها إلى القضية الذرية Atomic proposition والقضية الجزيئية Molecular proposition ، وهو ما أسس عليه رسل فكرته الأساسية في محاضراته عن " فلسفة الذرية المنطقية " (1918-1919) . ومع أن رسل يوجه الشكر إلى فتجنشتين في بداية محاضراته عن " فلسفة الذرية المنطقية " ؛ إلا أن هذه الإشارة تأتي للمجاملة ، إذ من المعروف أن فتجنشتاين دفع

برسالته إلى رسل لنشرها عام 1919 ، وكان رسل قد ألقى محاضراته المشار إليها . ولكن ماذا عن الرسالة؟

ثابت من كلام فون رايت الذي الذي اهتم بسيرة فتجنشتاين وأعماله أن الرسالة صدرت باللغة الألمانية لأول مرة عام 1921 في المجلة السنوية للفلسفة الطبيعية بعنوان: Logisch Philosophische Abhandlung Naturphilosophie ' الفلسفة المنطقية للطبيعة' ، وهذا أول نشر علمي للرسالة بعنوانها الألماني ؛ لكن ماكس بلاك الذي تتبع أفكار فتجنشتاين وفلسفته يفيدنا أن جورج مور اقترح عليه بعد ذلك أن يكون عنوانها : Tractatus Logico Philosophicus على غرار عنوان رسالة اسبينوزا ' Tractatus Theologico Politicus ' رسالة لاهوتية سياسية' . لكن فترة الحرب وما بعدها تشهد تطوراً مهماً في منحنى ' الرسالة' . لقد تمكن فتجنشتاين من تسريب أصول مخطوطة الرسالة، إلى رسل مع صديقه كينز، وطلب إليه نشر 'الرسالة' . كان من الطبيعي أن يقرأ رسل المخطوطة الأصلية للرسالة ، وهي بالألمانية التي كان يجيدها . كتب رسل مقدمة الرسالة التي قام أوجدن ورامزي بترجمتها إلى اللغة الإنجليزية . ومن ثم أصبح لدينا ' الرسالة' منشورة باللغة الألمانية (1921) في المجلة السنوية للفلسفة الطبيعية ، كما أشرت ، ثم باللغة الإنجليزية والألمانية معاً في صفحات متقابلة ، في طبعة أوجدن والتي شارك فيها رامزي عام (1922) . وبغض النظر عن الخلافات التي نشبت فيما بعد بين بعض المفكرين عن طريقة ترجمة الرسالة أو ترجمة بعض مصطلحاتها من الألمانية إلى الإنجليزية ، فإن الرسالة ظلت عملاً إبداعياً بالدرجة الأولى ، في الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى ، ومن ثم لعبت دوراً محورياً في تشكل الفكر الفلسفي ، مثل حركة التحليل اللغوي، وبعض الحركات الفلسفية الأخرى مثل حلقة فيينا ، التي عرفت فيما بعد بالوضعية المنطقية .

مكونات الرسالة

إن رسالة فتجنشتاين قوامها سبعة قضايا هي :

- 1 - القضية (1) وتشتمل على سبع قضايا فرعية وتحديثنا عن العالم اجمالاً
 - 2 - القضية (2) وتشتمل 79 قضية فرعية وتحديثنا عن الواقعة والأشياء
 - 3 - القضية (3) وتشتمل 73 قضية وتحديثنا عن القضايا والأسماء
 - 4 - القضية (4) وتشتمل 109 قضية فرعية وتتناول اللغة والقضايا
 - 5 - القضية (5) وتشتمل 150 قضية فرعية وتحديثنا عن القضايا ودوال الصدق
 - 6 - القضية (6) وتشتمل 103 قضية فرعية وتحديثنا عن طبيعة القضايا
 - 7 - القضية (7) وهي آخر قضايا الرسالة، وليست لها قضايا فرعية
- إن مجموع قضايا الرسالة 522 قضية أصلية وفرعية ، من بينها جميعاً 16 قضايا تتحدث عن التصوف . يهمننا في هذا الصدد القضايا التي أشار فيها فتجنشتاين إلى التصوف ، لكونها قضايا كاشفة لموقفه الحقيقي . ما هي هذه القضايا ؟ وما طبيعتها؟ علينا أن نقرر هذه القضايا ابتداءً ، ثم نتناولها بالتحليل .

قضايا التصوف في الرسالة

- 4.114 فالفلسفة يجب أن تحدد ما يمكن التفكير فيه وبالتالي ما لا يمكن التفكير فيه . إنها تحدد ما لا يمكن التفكير فيه ، وذلك من خلال ما يمكن التفكير فيه .
- 4.115 إنها تشير إلى ما لا يمكن التحدث عنه ، بكونها تبين بيانا واضحا عما يمكن التحدث عنه .
- 4.121 وما يعكس نفسه في اللغة ، لا تستطيع اللغة أن تمثله . وما يعبر عن نفسه [بنفسه] في اللغة بالتجلى ، لا نستطيع نحن أن نعبر عنه بواسطة تلك اللغة.
- 4.1212 إن ما يمكن أن يتجلى بنفسه ، لا يمكن وصفه باللفظ .
- 5.6 إن حدود لغتي تعني حدود عالمي .
- 5.61 إن ما لا نستطيع أن نفكر فيه ، هو ما لا يمكن أن نفكر فيه : ولذا فنحن لا يمكننا أن نقول ما لا يمكن التفكير فيه .
- 5.62 الواقع أن ما تعنيه الأنا وحدي ، صحيح تماما. إلا أنه مما لا يمكن قوله ، إنما هو يتبدى لنا فقط . فمعنى أن العالم هو عالمي ، يتبدى في الحقيقة القائلة بأن حدود اللغة (اللغة التي أفهمها) تعني حدود عالمي .
- 5.63 فأنا هو عالمي (العالم الصغير)
- 6.4 أن القضايا لا يمكن أن تعبر عما هو أعلى منها
- 6.432 أما كيف يكون العالم ، فذلك سؤال لا يأبه له قط من هو أعلى (من العالم) والله لا يكشف عن نفسه في العالم .
- 6.45 والتأمل في العالم على أن له بداية زمنية ، هو تأمل له من حيث هو كل محدد بحد . والشعور بالعالم ككل محدد هو الشعور الصوفي .
- 6.5 وبالنسبة للإجابة التي لا يمكن التعبير عنها ، يكون السؤال كذلك مما لا يمكن التعبير عنه . فاللغز لا وجود له .
- 6.522 والواقع أن ما لا يمكن التعبير عنه موجود . وهذا يظهر نفسه وهو الجانب الصوفي.
- 6.53 إن المنهج الصحيح للفلسفي يمكن أن يكون هو هذا : ألا تقول شيئا إلا مما يمكن قوله ، أي قضايا العلم الطبيعي ، أي ، شيئا لا علاقة له بالفلسفة .
- 6.54 ان قضايا لتوضيح الموقف على النحو التالي : إن من يفهمني سيعلم آخر الأمر أن قضايا كانت بغير معنى ، وذلك بعد أن يكون قد استخدمها (سلما) في الصعود ليجاوزها . (بمعنى أنه يجب عليه أن يلقى بالسلم بعيدا ، بعد أن يكون قد صعد عليه) . يجب عليه أن يعلو على هذه القضايا ، حينئذ يرى العالم بطريقة صحيحة .
- 7 إن ما لا يستطيع الإنسان أن يتحسث عنه ، ينبغي له أن يصمت عنه .
- إن القضية الأولى 4.114 ، والثانية 4.115 ترصدان بصورة دقيقة المقابلة بين المعقول واللامعقول . المعقول على ما نراه في الرسالة هو ما يمكن الحديث عنه . وهذا الجانب تعبر عنه المرحلة الذرية في الرسالة ، وهي تلك التي تكشف العلاقة بين الفكر واللغة بصورة مباشرة . نحاول أولا أن نتعرف على هذه المرحلة بأبعادها .

أولاً: مرحلة القضية الذرية:

تبدو لنا معالم المرحلة الذرية بوضوح في فكرة فتجنشتين من نقد اللغة. فالقضية المركزية

التي أقيمت حولها الرسالة⁽¹⁾ تتمثل في نقد اللغة⁽¹⁾ كوظيفة مشروعة للفلسفة. فإذا كان الفكر يتمثل في كونه القضية ذات المعنى، وبالتالي تصبح اللغة، في حد ذاتها، مجموعة القضايا ذات المعنى، فإن الفكر يعبر بالضرورة عن أنه إذا كان الوجود بالنسبة لأموال الواقع التي تكون موضوعاً لتفكيره، فما يمكن التفكير فيه، هو كذلك ممكن الوجود⁽²⁾. وإمكانية الوجود هنا، تعبر عن الوقائع الذرية. فالوقائع الذرية هي ما توجد في إطار الواقع الذي يمكن أن يتناوله الفكر بالحديث، والتي يمكن للغة أيضاً أن تعبر عن الطريقة التي توجد عليها هذه الوقائع. ومن ثم فالقضية الذرية، أو الأولية، حين نتحدث عن الواقعة الذرية، تعكس لنا الطريقة التي توجد عليها الأشياء في الخارج، أو الواقع الذي يصبح بإمكان الفكر أن يتناوله بالحديث.

إن الواقعة الذرية تتألف من أشياء. والأشياء في الواقعة الذرية مترابطة على نحو معين، وترابطها هذا يشبه ترابط حلقات السلسلة، على حد قول فتجنشتاين⁽³⁾. والقضية الأولية أو الذرية باعتبارها أبسط وحدات اللغة ذات المعنى، حينما نتحدث عن الواقعة الذرية، إنما تصور لنا الواقعة الذرية الموجودة في الخارج تصويراً دقيقاً. وهذه القضية تتألف في جوهرها من مجموعة من الأسماء. والأسماء باعتبارها الوحدات أو العناصر التي تتألف منها القضية الأولية تتربط بطريقة معينة⁽⁴⁾، بحيث يشير كل اسم من الأسماء الواردة في القضية إلى شيء من الأشياء الموجودة في الخارج. ومن ثم فإن الطريقة التي ترتبط بها الأسماء معاً في القضية، تعكس لنا طريقة وأسلوب ارتباط الأشياء الموجودة في الخارج، والتي ارتبطت معاً من خلال علاقة معينة لتكون الواقعة الذرية.

من هنا وجدنا فتجنشتاين يشبه طريقة ارتباط الأسماء معاً في القضية الأولية بطريقة ترابط النغمات الموسيقية، الواحدة منها مع الأخرى، لتجيء المقطوعة الموسيقية على درجة من التناسق، وتصبح بالتالي ذات معنى. والملاحظ هنا أن فتجنشتاين ظل على ارتباطه بالموسيقى التي شكلت جوهر حياته في مرحلة التكوين وما قبل الرسالة، وقبل الالتقاء باستاذة برتراند رسل. وهذا يعني أنه رأى في ترابط الأشياء معاً في الواقع الخارجى سلسلة مترابطة الحلقات، وكأنها معزوفة موسيقية. لكنه كان على وعى أن ما يرسم حدود هذه السلسلة إنما هو المنطق، إذ لا يمكن لتشكلات الأشياء أن تسير بدون منطق يحكمه، تماماً كما تحكم النوتة الموسيقية العلاقة بين الأنغام، فتأتى المعزوفة الموسيقية عذبة المذاق. إن نظرة فتجنشتاين إلى علاقة اللغة، على هذا النحو، بالعالم الخارجى، أو بمعنى آخر، إلى علاقة القضية الأولية بالواقعة الذرية، إنما هي في أساسها نظرة منطقية. فالمنطق هو الذي يرسم

(1)Wittgenstein, L., Tractatus Logico- philosophicus, trans. Into English by D.F. Pears and B.F.Mc Guinness, London: Routledge Kegan paul, 3rd imp. 1966. 4,0031.

(2)Tractatus; 3,02.

حين أستخدم المصطلح العربى "الرسالة" فيكون المقصود الرجوع إلى ترجمة عزمى اسلام العربية لطبعة أوجدن، لكن حينما أستخدم المصطلح اللاتينى

فيكون المقصود الإشارة إلى طبعة بيرز _ماك جينس

(3)Tractatus, 2,03.

(4)Tractatus, 3,14.

حدود هذه العلاقة وأبعادها لأنه "يستحيل علينا أن نفكر في أي شيء تفكيراً غير منطقي"⁽¹⁾، وهذا يفسر لنا معنى ما ذهب إليه فتجنشتاين من أن "المنطق يملأ العالم، فحدود العالم هي أيضاً حدوده"⁽²⁾. وحدود العالم هنا في نظر فتجنشتاين، إنما هي الحدود الممكنة، أي الوقائع الذرية، وهي ما يصبح بالإمكان أن نعبر عنه، لأن القضية الأولية تعكس لنا كيفية ارتباط الأشياء في الواقعة الذرية، وبذا فإن ما "يمكن التفكير فيه، هو كذلك ممكن الوجود"⁽³⁾. الإمكان هنا يتمثل في إمكانية وجود الواقعة الذرية، أي كيفية ترابط الأشياء معاً لتشكيل الواقعة الذرية. وهذا يرجع إلى أنه بالإمكان وصف الأشياء فحسب، ولكننا لا نستطيع التعبير عن حقائق الأشياء الأصلية بالألفاظ، ذلك لأن القضايا لا تصلح إلا في وصف ما يظهر لنا من الأشياء على ما هي عليه في الواقع، أي أنها يمكن أن تحدثنا فقط عن عالم الظواهر، ولكن ماذا عن عالم الحقائق، أو عالم الأشياء في ذاتها؟ إن القضايا التي تنتمي إلى عالم الخبرة، أو العالم الإمبريقي، "تصف هيكل العالم، أو بمعنى آخر أنها تمثله" (6,124) ومن ثم يستحيل عليها أن تحدثنا عن جوهر الأشياء، أي الأشياء في ذاتها، وهذا ما فهمه فتجنشتاين وعبر عنه بوضوح.

أما الشيء في ذاته Thing in itself لا يمكن للمنطق أن يتناوله، كما وأن اللغة لا تستطيع أن تمثله لنا من ثنايا ألفاظها وحدودها. والشيء في ذاته موجود، ولم ينكر فتجنشتاين وجوده على الإطلاق، فهو يؤكد لنا أن "ما يستحيل التعبير عنه موجود، وهو مظهر لذاته، وهذا هو الجانب الصوفي"⁽⁴⁾. وما يتجلى بذاته يستحيل وصفه، بل نعرفه عن طريق المشاهدة والكشف. وهنا يبدو لنا الوجه الكانطي متمثلاً في فتجنشتاين، وتبدأ بالتالي مرحلة ما وراء القضية الذرية. وهذه المرحلة تمثل بصورة كاملة موقف فتجنشتاين من اللامعقول، وهو ما نصفه بأنه مرحلة ما وراء الذرية المنطقية. هذه المرحلة تشكل البعد الحقيقي الذي طرح في فلسفة الرسالة، ولم يقبله أكثر الذين تناولوا الرسالة بالشرح والتحليل، تحت تأثير الفكر الوضعي. وهذه المرحلة يتجلى فيها البعد الميتافيزيقي عند فتجنشتاين كما تتجلى فكرته عن الشيء في ذاته.

ثانياً: مرحلة ما وراء القضية الذرية:

حدد فتجنشتاين إذن كيفية تناول الواقع في حدود المنطق، واللغة التي بإمكانها وصف هذا الواقع الذي يخضع لقوانين المنطق. لكن هناك جانباً آخر لا يمكن للغة أن تعكسه لنا، ولا يمكن لقضايا الفكر أن ترسم له صورة محددة، وهو جانب المتجلى بذاته، الذي يعترف فتجنشتاين بوجوده. والذي تعجز اللغة عن وصفه.

إن اللغة لا تصف لنا إلا ما هو ممكن الوجود، والذي نستطيع أن نفكر فيه فقط ونحدد معالمه، أما ما

(1) Tractatus, 3,03.

(2) لودفيج فتجنشتاين: رسالة منطقية فلسفية، ترجمة عزمي إسلام، الأنجلو المصرية، 1968، القضية 5.61.

(3) الرسالة - 3.02.

(4) Tractatus, 6,522

يستحيل علينا أن نفكر فيه، لا يمكن لنا أن نفكر فيه⁽¹⁾. الاستحالة هنا لا ترجع للفكر، بل إنها راجعة لطبيعة الموضوع ذاته . فهناك من الموضوعات ما يستحيل أن تكون موضوعاً للفكر، وهذا بالضرورة أمر يرجع لطبيعتها، ومن ثم فلا يمكن للذهن أن يعالجها أو يتناولها في أي وقت من الأوقات . والفكر لا يكون إلا في الموضوعات الممكنة، وما هو ممكن هو الواقع. وما هو واقعي هو منطقي، وما هو منطقي فلا بدّ وأنه يمكن التعبير عنه باللغة . وهذا ما حدا بفتجنشتين أن يقول "وإني لأعبر عن هوية الشيء بهوية العلامة التي تشير إليه"⁽²⁾، فالواقع إذن منطقي، والمنطق واقعي.

صلة فتجنشتين بكانط إذن واضحة ولها ما يبررها. ذلك إن كانط حين شرع في تأسيس المعرفة استخدم فكرة النقد Critique ذاتها وأدار حولها أبحاثه بأسرها فوجدناه يميز بين معرفة الشيء، ومعرفة الشيء في ذاته، أو على حد قول شيخ مؤرخي كانط في العربية الدكتور عثمان أمين⁽³⁾ بين عالم الظاهرات وعالم النومين، أي الأشياء في ذاتها.

وما يعنيه كانط بالنقد، إنما هو نقد سلطة العقل، وهذا ما جعله يهاجم الميتافيزيقا بالمعنى التقليدي، لأنها تدعي إدراك موضوعات خارجة عن التجربة ومجازرة لها، ولأنها تزعم الانتقال بغير حق من الظواهر (أي الأشياء كما تبدو لنا من خلال صور الحساسة) إلى الأشياء في ذاتها⁽⁴⁾.

من هنا وجدنا كانط يميز بين ما هو ترنسندنتالي Transcendental وما هو ترنسندنت Trascendent . فالترنسندنتالي هو ما يكون بإمكان التجربة وفي حدودها، أي ما هو ممكن. أما الترنسندنت فهو الذي يقع خارج كل تجربة ممكنة، وهو بالتالي ما لا يمكن أن يعرف أبداً⁽⁵⁾ عن طريق الفكر أو العقل ، فهو المجاوز للتجربة والذي يخرج عن حدودها. فنحن لا نستطيع إذن أن نتصور الأشياء في ذاتها ، كما ندرك الظاهرات، ولكن نستطيع أن نلمح من بعيد عالماً معقولاً لا يسعنا أن نقول عن عالم الأشياء في ذاتها إلا قولاً واحداً وهو أنه عالم مخالف للعالم المحسوس تمام المخالفة⁽⁶⁾. فكانط بعد أن شرع في وضع الأسس التي يمكن أن تقوم عليها المعرفة في نقد العقل الخالص وجدناه يذهب في نقد العقل العملي، وفي أسس ميتافيزيقا الأخلاق إلى محاولة تأسيس الإيمان - الإيمان بالأشياء في ذاتها - وهو في هذا يقول لنا "لقد ألغيت العلم لكي أقيم الإيمان"⁽⁷⁾.

التشابه إذن بين كانط وفتجنشطين واضح، لأن فتجنشتين حينما تناول تحليل العالم الممكن، أي عالم

(1) Tractatus, 5,61.

(2) الرسالة - 5.53.

(3) عثمان أمين، رواد المثالية، دار المعارف، 1967، ص 95.

(4) محمد علي أبو ريان، الفلسفة ومباحثها، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، 1974، ص 156.

(5) عثمان أمين، المرجع السابق، ص 92.

(6) نفس المرجع، ص 96.

(7) النص منقول عن: عثمان أمين، رواد المثالية، ص 20

الظواهر، بلغة كانط ، حاول أن يكتشف علاقة التماثل القائمة بين تركيب العالم وتركيب اللغة، وانتهى إلى تجاوز هذا العالم الظاهراتي الواقعي، إلى عالم الكشف، أو عالم الصوفية الذي لا تجدي اللغة في وصفه. إلا أن هناك ثمة فارقاً هاماً بين فتجنشتاين وكانط . فالتجاوز في رأي فتجنشتاين مشروع، رغم أنه لا يقدم لنا المبرر الكافي للتدليل على صحة رأيه، لكنه ليس هناك ثمة مشروعية تبرر هذا التجاوز في نظر كانط.

والحقيقة أن الوضعية المنطقية حينما تناولت اللغة، التي يتحدث عنها فتجنشتاين، فإنها تناولتها بالمعنى السطحي ولم تبيّن الوظيفة الأساسية للغة. وما يبرر هذا القول هو أن فتجنشتاين في استخدامه للغة كان مدرّكاً بشدة الصعوبات الخاصة بتسلسل النمط Type- hierarchy أو سلسلة ما بعد اللغة⁽¹⁾. أما كارناب والوضعية المنطقية ، فقد أساءوا فهم فكر فتجنشتاين الذي يدعون أنهم تأثروا به، فكارناب يذهب وهو بصدد دراسة اللغة إلى أنه "إذا ما تم تنقية الفلسفة من كل العناصر الغير علمية، فإنه سيبقى لدينا فقط منطق العلم"⁽²⁾. وما يعنيه بمنطق العلم هو "إعراب لغة العلم"⁽³⁾. وفارق كبير بين ما يذهب إليه فتجنشتاين وما يعنيه بنقد اللغة، وما يقصده كارناب من إعراب لغة العلم التي تهدف في مذهبه إلى إقامة اللغة العالمية. ومن ثم يصبح اعتقاد فتجنشتاين مبانياً لاعتقاد كارناب. إن ما يراه فتجنشتاين يتمثل في أن لغة الصعود تظهر الحقائق وتجلوها على حين أن اللغة العادية تصف وتقرر، لأن "ما يمكن أن يتجلى بذاته، يستحيل وصفه"⁽⁴⁾. عند هذه النقطة تكون الوضعية المنطقية قد فهمت من اللغة ما لم يذهب إليه فتجنشتاين.

إنه إذا ما تعمقنا فكر فتجنشتاين وأبعاد المنطق الذي تتحرك من خلاله القضية الأساسية في الرسالة، من حيث أن الفلسفة في حقيقتها هي نقد اللغة، لوجدنا أن إلقاء مزيد من الضوء على الرسالة يوضح لنا أن حديث فتجنشتاين عن لغة السلم الروحي، أو لغة الصعود، إنما يعني أنه لابد لنا وأن نتخلى عن السلم اللغوي، فاللغة وظيفتها محدودة، واستخدامها في غير هذه الوظيفة عبث لا طائل تحته . ولهذا فإننا نجد منطقة الوضعية قد ربطوا موقفهم من حقيقة فهم اللغة بموقف فلسفي حسي مفرط في النزوع الحسي، وذلك حين ذهبوا إلى أن وظيفة الفلسفة يجب أن تقتصر على تحليل اللغة فحسب، فما لا يوجد في الواقع المحسوس لا يمكن التعبير عنه باللغة، ومن ثم فهو غير موجود. إنهم ينكرون امكانية التعبير عما هو مجاوز للواقع المحسوس ، على حين أن فتجنشتاين يقبل المجاوز ويصفه بأنه "يتجلى بذاته". يقول في القضية 4.1212 إن ما يمكن أن يتجلى بنفسه ، لا يمكن وصفه باللفظ .

ومن ثم فإنه إذا كان فتجنشتاين قد قطع شوطاً كبيراً في تشييد رسالته على أساس من المنطق، فإن النصوص المتأخرة للرسالة تفضي بلا منازع إلى نزعة ميتافيزيقية واضحة. وهذه النزعة الميتافيزيقية تظهر لنا بوضوح جوانب ميتافيزيقية متعددة من الرسالة، وهذا ما يصرح به فتجنشتاين قائلاً فأنا هو

(1) Bernstein, R., "Wittgenstein's Three Languages". P.236 in, Capi, I.M., and Beard, R. W.,

Essays on Wittgenstein's Tractatus, Kegan paul, London, 1966

(2) Carnap, R., Logical Syntax of Language, English trans, by S. Smeaton, London, Kegan Paul, 1937. p. 279.

(3)Ibid, p. 279.

(4)Tractatus, 4,1212.

عالمي⁽¹⁾. الأنا هنا لا تتصل بالعالم بقدر ما هي حوله. وهذا الحد يعني الفصل التام بين عالم الذرّية المنطقية وعالم الصوفية⁽²⁾. وما تعبر عنه الأنا أو الذات هو وحدة الشهود التي نجدها لدى الصوفية، فالأنا منغمرة في الموضوع، وهذا ما يفصح عن شعور الذات بالتعالى لأنها ذات ميتافيزيقية، إنها حد للعالم، لا جزء منه⁽³⁾.

ووفقاً لهذا التفسير الذى تتبناه لفهم موقف فتجنشتاين، فإن الذات هي الموجود على الحقيقة بجانب العالم، لأنّ الشعور بالعالم ككل محدد هو الشعور الصوفي⁽⁴⁾، ومن ثمّ فالذات العارفة تتوحد مع موضوع المعرفة ويكون موضوع المعرفة إذن هو المطلق. وبالتالي يكون اتحاد الذات مع الموضوع هو قمة المثالية الصوفية، وهو ما تبدى فى قول فتجنشتاين "أنا هو عالمي"، وهذا يتمثل فى أن الأنا هي التجربة نفسها، أي أن الأنا والعالم إنما هما فى الحقيقة شيء واحد، فالإنسان مرآة للعالم. الأنا إذن تتوحد مع الموضوع. وبذا فإن اتحاد الوجود والمعرفة هنا، على هذا النحو، يعبر عن جانب إشراقي حيث يستبين الوجود كله من خلال الشهود المعرفي، أو الحضور الإشراقي، أو التجلى. فما يتجلى بذاته إنما هو مظهر لذاته، وليس فى حاجة لأنّ أظهره باللغة أو الفكر، لأنه أعلى من أن يحتمل لغة أو فكراً، وهنا يقرر فتجنشتاين "أن ما لا يمكن التعبير عنه موجود، وهذا يظهر بنفسه، وهو الجانب الصوفي" (6,522). عند هذه النقطة ينبغي علينا أن نلقي بالسلم اللغوي جانباً لتكون لغة الصعود الروحي هي أساس الكشف والمعرفة الحقيقية.

تلك هي نظرة فتجنشتاين إلى التصوف من خلال الرسالة ونصوصها التي تؤكد لنا الجانب الآخر للغة، كما يفهمها فتجنشتاين، والتي أخفقت الوضعية المنطقية فى فهم حقيقتها وجوهرها، ووقفت عند حد تحليل اللغة، بما يخالف أساس الفكر الذي نزع إليه فتجنشتاين. لقد لمس ماسلو الاتجاه الميتافيزيقي عند فتجنشتاين، وأشار إلى أنه يوجد لدى فتجنشتاين اتجاه وضعي وآخر ميتافيزيقي. وهذا الاتجاه الأخير أقل سيادة فى الرسالة⁵.

لكننا نجد في الجانب الخاص بالتصوف لا يتحدث عن نوع من أنواع المنطق، وإنما يتحدث عن المشاهدة والكشف، ومن ثمّ فإن اللغة التي يستخدمها فى تصوفه إنما هي لغة الصعود، أو السلم الروحي Scala Paridisi، على اعتبار أنها لغة متميزة تماماً عن كل من اللغة العادية Ordinary Language، التي لا تخضع لقواعد الإعراب، وكذلك عن اللغة الرمزية Symbolic Language التي تلتزم بالشروط والقواعد الدقيقة للرمزية وللمنطق، وبذا تصبح لغة السلم الروحي صورة أو نمط Type لما وراء اللغة Meta- Language، ويتضح لنا هذا النمط اللغوي من قوله فى القضية (6.54) وهى القضية قبل الأخيرة مباشرة: "إن من يفهمني سيعلم آخر الأمر أن قضاياى كانت بغير معنى، وذلك بعد أن يكون قد استخدمها (سلاً) فى الصعود، أي صعد عليها ليجاوزها (بمعنى أنه يجب أن يلقى بالسلم بعيداً بعد أن

(1) الرسالة- 5.63.

(2) Zemach, E., Wittgenstein's philosophy of the Mythical, p.177 in, Capi, I.M., and Beard, R. W., Essays on Wittgenstein's Tractatus.

(3) الرسالة- 5.641.

(4) الرسالة- 6.45.

يكون قد سعد عليه⁽¹⁾. فما الذي يعنيه فتجنشطين هنا بإلقاء السلم؟ وما هو التجاوز الذي يتحدث عنه؟ وما هي مشروعية التجاوز في نظر فتجنشطين؟ الإجابة على هذه التساؤلات تتضح وتتحدد بناءً على معنى ما قصد إليه فتجنشطين من "إلقاء السلم".

في هذه القضية الأخيرة يبدو لنا ذلك التمييز الحاد الذي أقامه فتجنشطين بين مرحلتين من مراحل التفكير⁽²⁾، أولهما المرحلة الذرية، التي آمن فيها بالقضية الذرية، وهي مرحلة تناول المعقول في حدود اللغة والفكر. وثانيهما مرحلة ما وراء القضية الذرية، وهي مرحلة اللامعقول، والتي يبدو أنه تخلى فيها عن فكرته الذرية بصورة واضحة قائلًا في القضية رقم (7) من قضايا الرسالة، وهي القضية الأخيرة "إن ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه، ينبغي له أن يصمت عنه"، وهو ما حدا بواحد من أهم مؤرخي سيرته أن يطلق على فتجنشطين "صاحب ميتافيزيقا الصمت"⁽¹⁾ تأسيا بالمأثور العربي: "لتقل خيرًا أو تصمت". لقد صمت فتجنشطين الذي لم يستطع التعبير عما لا يمكن التعبير عنه، وهذا الجانب في رأي التجريبيين لا وجود له، ولكنه تجلى لفتجنشطين فصمت عنه، ولم تفلح اللغة في التعبير عنه. إنه مباين لطبيعة الذات التي تستخدم لغة تليق فقط بكل ما هو جزئي وتجريبي في عالم الخبرة، ولا تصلح للتعبير عن المجاوز. وكأنه بهذا قد عاين ما لم يعاينه غيره من الذوات من خلال الكشف الصوفي.

يبدو أن بعض التفسيرات التي قدمت لموقف فتجنشطين من التصوف تحتاج إلى وقفات، خاصة وأن هناك جوانب متعددة تشير إلى أن فتجنشطين كان ينحت دومًا في عالم مختلف عن عالم المحيطين به. ويبقى السؤال الحائر: كيف يمكن لنا أن نفهم مسألة التصوف بجوانبها المتعددة، ابتداءً من حياة فتجنشطين الأولى؟ هذه مسألة مهمة تحتاج إلى وقفات من الباحثين والدارسين الجدد في فكر فتجنشطين.

(1) الرسالة - 6.54.

(2) Maslaw, A., A study in Wittgenstein's Tractatus, University of California Press, 1961, P.11